الجزء ٥ — السنة السادسة

الجامعة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك حزيران — (يونيو) سنة ١٩٠٨ — جماد ١ سنة ١٣٢٦

كلام لابن الشرق في الغرب

الآن بدأتُ أُحبُّ أميركا

مثال من مدينة اميركية

مقالة مكتوبة فيها

نعم هذه اول مرة شعرتُ بها بميل الى اميركا والمدنية الاميركية . ولم يهبط على نفسي هذا الميل وحياً من السماء ولا اندفعتُ اليه اندفاعاً بفاعل العواطف التي يكون حكمها في اكثر الاحيان حكماً (سطحياً) ولا انا اكتب هذا الكلام تزلفاً الى الاميركيين الذين يقرأون الجامعة في اميركا وسوريا ومصر — اذ بين قرائها في نيويورك نفر من المستشرقين الاميركيين الافاضل تشرفتُ الجامعة بان تعرّفت اليهم — ولكني اكتبه بعد درسي اميركا سنتين وكمال درسي لها بدخولي في داخليتها ومراقبة احوال الشعب الاميركي فيها

واول ما هبط على نفسي هذا الميل كان في البلدة التي اكتب منها هذه السطور وهي وليمنتيك في طرف ولاية كنائكت الشرقي مما يلي ولاية رود آيلند. فقد صرفتُ فيها يومين احدهما يوم أحد وفي هذين اليومين بدأت أشعر بذلك الميل . على انه والحق يقال قد ابتدأ في نيوهافن ولكني لم أحسّ به احساساً كاملاً الا في وليمنتيك

ومن حسن الحظ ان زيارتي للداخلية في هذا الشهر (١) كانت في مفترق الطريق أي بعد نشر المجلة المقالة السابقة في هذا الموضوع وخاتمتها مسألة يتوقف عليها الحكم في المدنية الاميركية ومنزلتها ومصيرها لإمكان الحكم في حقيقتها الحاضرة . وهي هذه كما وعتها الذاكرة اذ ليس لدي الآن نسخة من ذلك الجزء (هل الطريق التي سلكتها المدنية الاميركية تؤدي بها الى الافاق العليا التي تعيش فيها الامم العليا وتصبح امة عقلية علمية فلسفية اجتماعية كما هي امة تجارية صناعية زراعية بل أعظم الامم في هذا الامر المادي . أم تبقى كما هي بلاداً مادية كبرى و يبقى فيها الفن والعلم وجميع آثار العقل والنفس في طفوليتها كما هي الآن ؟)

سألت هذا السؤال قبل خروجي من نيو يورك ومشاهدة آثار المدنية الاميركية في الداخلية . على انني الآن بعد تجوالي في ولاية كاملة انظر الى هذا الموضوع من وجه آخر لعله يمكنني الجواب عن تلك المسألة جواباً صحيحاً مبنياً على البرهان اليقين لا على الظن والتخمين

---

(١) يعلم قراء الجامعة « الجريدة » انني دخلتُ في هذا الشهر داخلية الولايات المتحدة لصرف شهر في بعض ولاياتها وقبلة رحلتي كندا حيث امتزج التمدن الانكليزي والفرنسوي والاميركي امتزاجاً لا شبيه له في الدنيا كلها

نتيجة عمل امة

واول ما يتبادر الى الذهن ان النتيجة التي حصلت عليها اميركا في هذه المدة القصيرة نتيجة عظيمة جديرة بإعجاب كل مفكر منصف . فتجارتها وصناعتها وزراعتها اعظم تجارة وصناعة وزراعة في الدنيا واذا كانت عديمة الاتقان الذي يكون للصنائع الاوروبية فلها عذر مقبول وهو انها لم تبتدئ الا منذ اكثر من قرن والصنائع الاوروبية نتيجة اتقان قرون عديدة . وأهلها اغنياء يكسب الواحد منهم في عامه ما يكسبه امثاله في غيرها في عدة اعوام . فان اجرة العامل الذي يعزق الثلج من شوارع نيويورك في زمن الشتاء ريالان في النهار وثلاثة أو أربعة في الليل واجرة مثله في اوروبا ٤٠ سنتاً أو أقل من نصف ريال وفي مصر وسوريا يشتغل العامل بربع ريال . وفي اميركا يتمتع الانسان بما يكسبه لان كسبه مضمون لديه وذلك لكثرة الاعمال فيها وسعة البلاد وغناها واذا اقتصد فانه يقتصد اموالاً طائلة في مدة قصيرة . اما ابناء اوروبا والشرق فلا يقتصدون ما يقتصدونه الا بشق النفس وحرمانها ولذلك يتهكم الاميركيون على الاوروبيين بقولهم انهم يقتصدون ما يقتصدونه في (جواربهم الصوفية) وهو مثل فرنسوي كناية عن ان غنى الشعب الفرنسوي وارد من اقتصاد ابنائه المال القليل في (جوارب الصوف) ولعل الاصل في ذلك ان عجائزهم وفلاحيهم كانوا يتخذون هذه (الجوارب) (الكلسات) خزانة لما يقتصدونه . وفضلاً عن ذلك فان اميركا امة عزيزة بين الامم فهي ترفع رأسها بانفة وكبرياء بين جميع شعوب الارض وحكومتها مهيبة نافذة الكلمة لم يجز عليها ذل ولا نالها خفض عيش وقوتها البحرية معدودة ثانية قوات الدول الكبرى اذ لا تتقدمها في ذلك امة غير الامة الانكليزية . أضف الى ذلك ان شعبها محكوم بشرائع منطبقة على

حاجاته ومع كون الحرية مطلقة فيها الى آخر حدودها في بعض الامور فان حكومتها تقيدها في امور أخرى وتسلب الشعب شيئاً منها دون ان يحتجّ الشعب عليها لمعرفته انها انما تفعل ذلك لمنفعته لا لعدائها للحرية اذ لا عدوّ للحرية هنا ينبغي صرعها واقامة حكومة مستبدة مطلقة مكانها كما هي الحال في فرنسا حيث تذهب نصف قوة الحكومة في اتقاء عدوان الملكيين والبونابرتيين والاكليريكيين على الحرية والجمهورية . ومع كون الامة الاميركية ولايات ولايات كل ولاية مستقلة بادارة شؤونها الداخلية استقلالاً يكاد يكون كاملاً والحرية فيها مطلقة للجرائد والجمعيات اطلاقاً كلياً وعدد المشعوذين الذين يستثيرون الشعب على رجال الفضل من أهل الحكم وغيرهم كثيرون وعدد الحيتان الهائلة الذين يبغون احتكار ثروة البلاد ومن فيها في شركات تمتصّ دماء العمال غير قليلين مع قلة الجنود الذين لا يتجاوزون ٦٦ الفاً في زمن السلم بحراً وبراً وبينما جيش فرنسا العامل في زمن السلم يبلغ ٥٠٠ الف رجل مع كل ذلك لا نسمع بفتنة او ثورة ولم تتمرّد ولاية وتستأثر بأمرها ولا نرى شبه اضطراب مما نراه ونسمع به في كل يوم في فنزويلا وهايتي وجمهوريات اميركا المتوسطة

فنتيجة كهذه النتيجة حصلت عليها الولايات المتحدة وانشأت شعباً نشيطاً حراً يرفع رأسه بكبرياء تحت قبة السماء وتهابه الاسود في غاباتها والحيتان في لجاتها وله جامعة يفديها بالنفس والنفيس وثروة تنثر ملايين الريالات في طريقه كما تُنثر اوراق الخريف — جديرة بالاعجاب وان يُقال عن الامة التي نالتها دون مساعدة احد لها والحكومة التي انالتها اياها ولم تَعدُ عليها انها امة عظمى وحكومة كبرى تُحنى امامها الهام ويُرفع اليها الاحترام

هكذا يقول القائلون الذين ضلعهم مع اميركا وكل واحد منا يحسّ بان هذا

القول حق من هذا الوجه . ولكن غيرهم ينظرون الى اميركا من وجه آخر فصّلناه فيما سبق من مقالاتنا ونرى ان هنا نقطة الخلاف التي تجب ازالتها . ومتى قبضنا عليها امكننا ان نحلّ الاشكال ونجيب عن ذلك السؤال

لماذا يكره بعضهم اميركا وماذا يكرهونه فيها

كثيرون منا يكرهون اميركا مع معيشتهم فيها ولا نتكلم هنا عن الذين لا ينجحون فيها فهؤلاء معذورون في هذه الكراهة ولكنا نتكلم خصوصاً عن الذين ينجحون فيها و يكرهونها و بالاخص عن المقيمين في المدن الكبرى كنيو يورك وشيكاغو وفيلادلفيا وغيرها . و بما اننا قد شعرنا شعور هؤلاء مدة اقامتنا في نيو يورك فيمكننا ان نصف حالة نفوسهم بما شعرنا به في نفسنا بعد معيشتنا في نيو يورك

يفد أحدنا من الشرق على نيو يورك وهو يظن انه منتقل الى بلاد الكمال والجمال . فقد عاشرنا جميعاً كثيرين من افاضل المرسلين الاميركان في سوريا ومصر ورأينا فضلهم ودماثة اخلاقهم وسمعنا دعواتهم الى الآداب والدين والفضائل والاخاء البشري فخيّل لنا ان اميركا هي وطن هذه الكمالات كلها ولا شيء فيها مما يخالفها و يناقضها . ولكنا حين تطأ اقدامنا ارض نيو يورك مثلاً فماذا نرى ؟ اننا في بدء الامر نُدهش بما نراه من ضخامة العمران وفخامة البنيان ثم بعد الدهشة تأتي نوبة التأمل والامعان . و بعدهذا الامعان والتأمل نُصاب بدهشة أُخرى غير تلك الدهشةوذلك لاننا نرى في نيو يورك — عاصمة اميركا التجارية — ما لم يكن في الحسبان . فقد تركنا الشعوب في الشرق خرافاً يُجزّ صوفها ويُستدرّ لبنها ويستبدّ بها حاكمها وغنيّها والرئيس الروحي فيها فوجدنا الشعب في اميركا تحت نير عبودية لاصحاب الاموال والرؤساء تختلف

عن عبودية الشعب الشرقي ولكن النتيجة واحدة وهي ان الشعب تحت عبئه الثقيل . اننا قلما رأينا في الشرق رجالاً بشوارب ضخمة وبنية قوية يستعطون خبزهم دون حياء او يصطفّون مئات امام قسيس يصلّي في الشارع ويستعطي لهم ابناء السبيل لاطعامهم وايوائهم ولكنا رأينا في نيويورك ذلك واكثر منه . اننا لم نرَ في الشرق نساء يترنحن في الاسواق سكرى وينطرحن على بلاط الشوارع معربدات ولكنا رأينا ذلك في نيويورك . اننا لا نعدّ في سوريا كلها تقريباً حانات وخمارات بقدر ما نعدّ منها في مدينة نيويورك وحدها اذ في كل زاوية شارع حانة — قاعدة مطردة لا تقبل استثناء . وبما ان جميع الشوارع متقاطعة والزوايا كثيرة متقابله فالحانات متقابلة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وهم يسمونها (صالون) وعشرات من البشر تزدحم في كل واحدة منها على مشروبات قتالة وامزجة مختلفة يدخل شراب الوسكي فيها كلها تقريباً لانه سلطان المشروبات في اميركا . والمضحك انه من المقرر إقفالها في يوم الاحد ولكن اكثرها يبيع فيه الخمور سراً بل جهراً لان بعض الشرطة يغضون الطرف واذا امسك احد الخفية (البوليس السري) صاحب حانة وهو يناول رجلاً مسكراً من حانته فلا يقدر ان يقبض عليه ويقاضيه لان صاحب الحانة يمكنه ان يدّعي انه يهب ذلك المسكر هبةً ولا يبيعه بيعاً ولا تحق العقوبة على صاحب الحانة الا اذا شوهد يقبض من الشارب ثمن ما شرب ... وهناك حيلة أغرب وأعجب وهي ان بعض اماكن الخلاعة تدعى (ميوزيك هول) أي قاعات موسيقية فتفتح في يوم الاحد وتباع فيها المسكرات جهراً بحجة ان طالبها لا يطلبها لذاتها بل يطلبها ليأكل ولذلك يقدمون مع كأس المسكر التي توضع امامك قطعة من (الصندويج) او كسرة من الخبز والجبن وغني عن البيان انك تدفع ثمنها فوق ثمن المسكر وان كنت لا تأكلها . ادخل في يوم أحد قهوة ومرتين

المشهورة في نيويورك وهي فرنسوية واطلب شراباً روحياً فيسألك الخادم للحال أي (صندويج) تريد لانه يبيعك المسكرات مع الصندويج ولا يبيعكها بدونه. وما عدا هذا فانك ترى الفاحشة علنية في نيويورك والنساء الساقطات يملأن الشوارع من الشارع الرابع عشر الى ما فوق في داخل المدينة ونسبتهن في بعض الشوارع في المساء الى الحرائر كنسبة ١٠ الى ٥ . ثم ماذا ترى ? ترى ارتخاءً عظيماً في الاخلاق فان الرجال يستوقفون هؤلاء النساء او يجالسونهنّ في الاماكن العمومية والمطاعم كأنهم لا يأتون امراً ادّاً . وبين هذا وذاك تسمع زئير المدينة زئيراً هائلاً وترى حركة دائمة يتدافع فيها الناس كأنهم في طراد والسابق السابق منهم الجواد . فهذا يصطدم بك ولا يلتفت نحوك . وذاك تسأله من اين الطريق فيطمطم ويرطن ويصرف وجهه عنك . وذلك يعض سيكاره ويبصق امامك فربما اصابك رشاش هذا الطلّ القبيح . وغيره يعلو على الاوتوموبيل في مفترق الطريق بين زحام مركبات الترمواي وعربات النقل ويشتمك بطمطمانيته لانك اجتزتَ امامه سريعاً ولم تتركه يدوسك . وغيره نشوان رنّحت الخمرة جسمه ولسانه وقبعته يتعلق بك ويقول انه لم يأكل منذ يومين ولذلك يطلب (فيف سنس) أي خمسة سنتات ليأكل الخ الخ الخ..

فبعيشكم اخبرونا ماذا تكون تأثرات ابن الشرق حين يرى هذه المدهشات كلها في اميركا وهو قادم ليرى فيها معجزات الآداب والمدنية قياساً على ما قرأه عن الاميركيين وما سمعه من ابناء اميركا في الشرق . هذا ناهيك عن خشونة المعاملات وغلظة الاساليب والاحاديث التي لا تسمع فيها وانت مارٌّ في الشارع غير ذكر هندرد دولارس — ثوزند دولارس . ناشيونال بنك . ب . مرغن اند كومباني مضافاً اليها في الشتاء قرٌّ يقتل الحيوان والانسان وفي الصيف حرٌّ يذيب الشحم واللحم في الابدان . حتى اننا كثيراً ما نظرنا في نوافذ منازل من

أحسن المنازل رجالاً بقميص القطن (الفلانلا) مكشوفي الصدر بارزين من النافذة وهم يقرأون الجرائد والناس في مركبات الترمواي والشوارع رجالاً ونساءً ينظرون اليهم دون مبالاة كأنّ فعلتهم هذه أمر اعتيادي

كل ما ذُكر وما لم يُذكر من أمثال هذه الامور التي لا يتوقع زائر اميركا ان يراها فيها تحمل ابن نيويورك وخاصة ابن الشرق فيها على ان يظن ان اميركا هي ما يراه في تلك الامور الشاذة والمناظر الثقيلة والامور التي تنفر منها الطباع السليمة. يظن ذلك وهو مهاجر ولا يخطر في باله ان الذين يراهم ويعاملهم ويحكم عليهم ذلك الحكم قد يكونون مهاجرين مثله تُركوا الى انفسهم في وسط شديد عليهم فأثّر فيهم التأثير الذي رآه وكان سبب نفرته . فقد قيل في نيويورك (انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها) يعنون ان اكثر أهلها مهاجرون غرباء ولكن كل مهاجر غريب فيها لا يُعدّ غريباً لانه بين غرباء مثله . فاذا شئنا الحكم على مدنية احدى الامم يجب ان لا نتخذ موضوعاً لدرسنا المهاجرين اليها ومدنها الكبرى فقط فان من خصائص هذه المدن ان يجتمع فيها احط ما يكون وأرفع ما يكون . فاذا شاهدنا المنحط فيجب علينا ان ننكمش عن الحكم قبل مشاهدة الرفيع ايضاً . ولو كان جميع شعب الولايات المتحدة كالجمهور الثقيل الذي مرّ وصفه آنفاً لما كانت اميركا اميركا ولما قدرت ان تحصل على النتيجة التي مرّ بسطها في الفقرة السابقة . وساجعلك تزور معي في مقالة تالية داخلية الولايات المتحدة حيث أُريك شعباً غير الشعب الذي عرفته في نيويورك ونفرت جوانحك كلها منه . وسأريك منه اموراً تجعلك تحبه كما أحببته . ولعلك ترى في ما سبلي حلاً لتلك المسألة التي أشرنا اليها في مقدمة الكلام ونبحث معاً في حلها